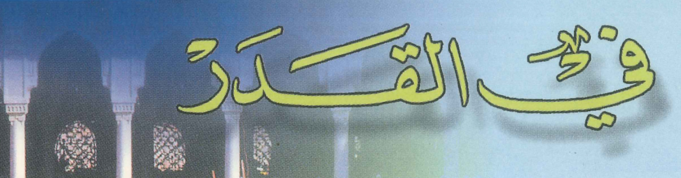
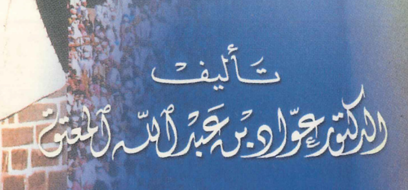

وسطية أهل السنة


في القدر


تأليف
الدكتور عواد بن عبد الله المعتق

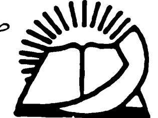

مكتبة الرشد
ناشرون


وسطية أهل السنة
في القدر

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

مكتبة الرشد
ناشرون

المملكة العربية السعودية - الرياض
شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)
ص.ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٩٣٤٥١ فاكس ٤٥٧٣٣٨١



Email: alrushd@alrushdryh.com
Website: www. rushd.com

* فرع طريق الملك فهد - الرياض - غرب وزارة البلدية والقروية هاتف ٢٠٥١٨٣٠
* فرع مكة المكرمة - هاتف ٥٥٨٥٤٠١ فاكس ٥٥٨٣٥٠٦
* فرع المدينة المنورة - شارع ذر الغفاري هاتف ٨٣٤٠٦٠٠ - ٨٣٨٣٤٢٧
* فرع جدة - ميدان الطائرة - هاتف ٦٧٧٦٣٣١
* فرع القصيم - بريدة طريق المدينة هاتف ٣٢٤٢٢١٤ فاكس ٣٢٤١٣٥٨
* فرع ابها - شارع الملك فيصل هاتف ٢٣١٧٣٠٧
* فرع الدمام - شارع ابن خلدون هاتف ٨٢٨٢١٧٥

وكلاؤنا في الخارج

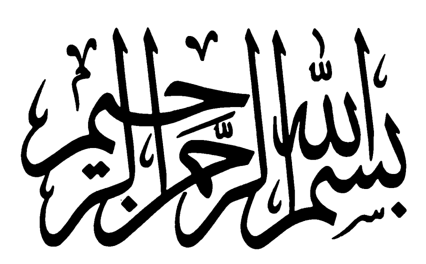
* القاهرة : مكتبة الرشد / هاتف ٢٧٤٤٦٠٥
* الكويت : مكتبة الرشد / هاتف ٢٦١٢٣٤٧
* بيروت : دار ابن حزم / هاتف ٧٠١٩٧٤
* المغرب : الدار البيضاء / مكتبة العلم / هاتف ٣٠٣٦٠٩
* تونس : دار الكتب المشرقية / هاتف ٨٩٠٨٨٩
* اليمن : صنعاء / دار الآثار / هاتف ٦٠٣٢٥٦
* الاردن : دار الفكر / هاتف ٤٦٥٤٧٦١
* البحرين : مكتبة الغرباء / هاتف ٩٥٧٨٣٣ - ٩٤٥٧٣٣
* الامارات : الشارقة / مكتبة الصحابة / هاتف ٥٦٣٣٥٧٥
* سوريا : دمشق / دار الفكر / هاتف ٢٢١١١٦٦
* قطر : مكتبة ابن القيم / هاتف ٤٨٦٣٥٣٣



تأليف

الدكتور عواد بن عبد الله المعتق

مكتبة الرشد
ناشرون



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا بني بعده.

وبعد..

فإنه من المعلوم أن الرسول ﷺ ترك المسلمين على المحجة البيضاء؛ لكن نتيجة بعض العوامل داخل الدولة الإسلامية وخارجها، حدث الخلاف بين المسلمين في بعض المسائل: منها ما حسم في حينه، كاختلافهم في الخلافة وموضع دفنه عليه الصلاة والسلام، ومنها ما بقي حتى انقرض وانتهى، ومنها ما هو باق إلى الآن، وإن من أشهر المسائل التي اختلف فيها مسألة القدر.فقد انقسم الناس فيها إلى غلاة في الإثبات، وهم من يسمون بالجبرية، وإلى غلاة في النفي، وهم من يسمون بالقدرية. وإلى متوسطين، وهم أهل السنة والجماعة.

ونظراً لأهمية بيان وسطية أهل السنة في هذه المسألة، وانحراف الفرق المخالفة، فقد رأيت أن أكتب بحثاً موجزاً يتلخص فيما يلي:

الفصل الأول: في التعريف بالقدر ومراتبه.

الفصل الثاني: في انقسام الناس في القدر. وفيه مباحث:

المبحث الأول: الذين غلوا في إثبات القدر.

المبحث الثاني: الذين غلوا في نفي القدر.

المبحث الثالث: الذين توسطوا في القدر.

الخاتمة: في بيان بعض آثار الأيمان بالقدر في حياة المسلم.

وأخيراً أسأله تعالى أن يتقبل صوابه ويتجاوز عن خطئه إنه سميع مجيب وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

الفصل الأول: تعريف القدر ومراتبه

القدر لغة: بتحريك الدال وتسكن مصدر قدرت الشيء بفتح الدال مخففة أقدر قدراً.

ويقال فيه: قدّرت أقدر تقديراً بتشديد الدال.

ومعناه: القضاء والحكم، ومبلغ الشيء.

والقَدَر،كالقَدْر: جمعهما جميعاً أقدار. وقيل القَدَر: الاسم.

والقَدْر: المصدر وهو يأتي مراداً به المصدر: وهو التقدير. ويأتي مراداً به المفعول وهو المقدر.

وفي الاصطلاح: ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور. قال عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر:١] أي الحكم. كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان:٤].

فإذا قلنا إن الله تعالى قدر الأشياء فمعناه: أنه تعالى علم مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها ثم أوجد منها ما سبق في علمه أنه يوجده على نحو ما سبق في علمه[1].

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة قدر (ج٣، ص٣٠)، القاموس المحيط (ج٢، ص١١٤)، الفتاوى (ج٨، ص٤١٠-٤١٢)، لوامع الأنوار البهية (ج١، ص٣٤٥)، تيسير العزيز الحميد (ص٦١٨-٦١٩)، الاعتقاد للبيهقي (ص٦٧).

مراتب القدر

الإيمان بالقدر لا يتم حتى نؤمن بأربع مراتب وهي:

العلم.

والكتابة.

والمشيئة.

والخَلْق.

المرتبة الأولى

وهي الإيمان بعلم الرب سبحانه وتعالى المحيط بكل شيء، فإنه سبحانه علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون. ومن ذلك الخَلْق فإنه سبحانه علم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم وشقاوتهم وسعادتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم ومن قبل أن يخلق الجنة والنار علم كل ذلك بعلمه الذي هو صفته ومقتضى اسمه العليم الخبير.

وهذه المرتبة قد اتفق عليها الرسل عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى خاتمهم، واتفق عليها جميع السلف ومن تبعهم ولم يخالف فيها إلا مجوس[1] هذه الأمة.

وإليك بعض الأدلة من الكتاب والسنة التي تقرر هذه المرتبة:

أولاً: الأدلة من الكتاب: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ

(١) القدرية الأولى الغلاة منهم وسيأتي التعريف بهم قريباً إن شاء الله.

إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة:٣٠]. وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾﴾ [آل عمران:٢٩]. وقال تعالى: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ [الأنعام:٥٩].

ثانياً: الأدلة من السنة. ومن ذلك ما يلي:

١. ما رُوي عن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»[١].

٢. ما روى البخاري ومسلم عن علي ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً وفي يده عود ينكت به، فرفع رأسه فقال: «ما من نفس منفوسة إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار، قالوا: يا رسول الله فلم نعمل، أفلا نتكل؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ -إلى قوله- فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل:٥-١٠]»[٢].

٣. ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه كما تنتجون البهيمة، هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها، قالوا: يا رسول الله،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (ج٨، ص٣٩٥، ٣٩٦) في تفسير سورة لقمان، باب قوله تعالى: (إن الله عنده علم الساعة). وأحمد في مسنده (ج ٢، ص٢٤، ٥٨، ١٢٢). وانظر: جامع الأصول (ج٢، حديث٧٥٥).

(٢) والحديث رواه البخاري في صحيحه (ج١١ص٤٩٤)، ومسلم في صحيحه (ج٤ص٢٠٤٧-٢٠٤٨).

أفرأيت من يموت صغيراً؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين»[1].

٤. روى البخاري ومسلم عن عمران بن حصين قال: «قال رجل يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: نعم. قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: كل يعمل لما خلق له»[2].

وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي يضيق عنها المقام.

المرتبة الثانية: الكتابة

وهي الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى لما علم الأشياء بعلمه الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً كتب ذلك في اللوح المحفوظ.

وإليك بعض الأدلة من الكتاب والسنة:

أولاً: الأدلة من الكتاب:

يقول الله عز وجل: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس:٦١].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾ [الحج:٧٠].

ويقول سبحانه: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢﴾ [القمر: ٥٢].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (ج٣ ص٢١٨)، ومسلم في صحيحه (ج٤ ص٢٠٤٧-٢٠٤٨).

(٢) رواه البخاري في القدر، باب جف القلم على علم الله (ج١١ ص٤٩١)، ومسلم في القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (ج٤ ص٢٠٤١) حديث رقم ٢٦٤٩.

قال عطاء[١] ومقاتل[٢]: كل شيء فعلوه مكتوب عليهم في اللوح المحفوظ.

وقال جماعة: المعنى أنه يحصى عليهم في كتب أعمالهم.

وجمع أبو إسحاق[٣] بين القولين فقال: مكتوب عليهم قبل أن يفعلوه، ومكتوب عليهم إذا فعلوه للجزاء. وهذا هو الأصح[٤] والله أعلم.

ثانياً: الأدلة من السنة:

روى البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة، فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا؟ فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فسيصير لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فسيصير لعمل أهل الشقاء ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝﴾ [الليل:٥-٧][٥]». وروى مسلم عن جابر بن عبد الله قال: «جاء سراقة بن مالك بن جعثم فقال: يا رسول الله بين لنا ديننا

---

(١) لعله عطاء بن أسلم بن صفوان (ابن أبي رباح) تابعي من أجلاء الفقهاء، ولد في جند باليمن سنة ٢٧هـ ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم وتوفي فيها سنة ١١٤هـ. انظر: حلية الأولياء (ج٣، ص٣١٠-٣٢٥)، والأعلام (ج٤،ص٢٣٥).

(٢) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي (أبو الحسن) من أعلام المفسرين أصله من بلخ انتقل إلى البصرة ودخل بغداد فحدث بها، وتوفي في البصرة سنة ١٥٠هـ. انظر: الوفيات (ج٢، ص١١٢)، والأعلام (ج٧، ص٢٨١).

(٣) لعله عمرو بن عبد الله من بني ذي يحمد ابن السبيع الهمداني الكوفي (أبو إسحاق) من أعلام التابعين الثقات ولد سنة ٣٣هـ، وأدرك علياً وكان شيخ الكوفة في عصره وتوفي سنة ١٢٧هـ. انظر: الحلية (ج٤، ص٣٣٨-٣٥٠)، والأعلام (ج٥ ص٨١).

(٤) شفاء العليل (ص٤٢).

(٥) انظر: جامع الأصول حديث ٧٥٧٩، (ج١٠، ص١١٠).

كأنا خلقنا الآن، فيم العمل اليوم، أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟ قال: لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، قال: ففيما العمل. قال: اعملوا فكلٌ ميسرٌ لما خلق له وكلٌ عاملٌ بعملهِ»[(١)].

وروى الإمام أحمد والترمذي عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً، فقال لي: «يا غلام إني معلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفت الصحف»[(٢)].

فصل

ونتذكر أن الإيمان بكتابته عز وجل للمقادير يدخل فيه خمسة تقادير وإليك بيانها:

التقدير الأول: تقدير المقادير قبل خلق السماوات والأرض عندما خلق عز وجل القلم.

قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة:٥١]. وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد:٢٢].

(١) رواه مسلم في القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه برقم ٢٦٤٨. وانظر: جامع الأصول حديث ٧٥٨٠، (ج١٠، ص١١٢).

(٢) هذا القدر أخرجه الترمذي برقم ٢٥٨ في صفة القيامة، باب رقم ٦٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح. والحديث أو نحوه في مسند الأمام أحمد برقم ٢٦٦٩، و٢٧٦٣، و٢٨٠٤ وهو حديث صحيح. انظر: جامع الأصول حديث رقم٩٣١٥.

وقال ﷺ -في الحديث الذي رواه البخاري عن عمران بن حصين- «..قال: كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض»[(١)]. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وعرشه على الماء»[(٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب. قال: وما اكتب؟ قال: اكتب القدر. فجرى بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة..الحديث»[(٣)].

التقدير الثاني: من تقادير الكتابة: كتابة الميثاق يوم قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ﴾ [الأعراف:١٧٢] عقيب خلق آدم عليه الصلاة والسلام، عندما نشر ذريته وميز أهل الجنة من أهل النار. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف:١٧٢-١٧٣].

وعن مسلم بن يسار الجهني -أن عمر بن الخطاب ﷺ سئل عن هذه الآية فقال: سمعت رسول الله ﷺ- سئل عنها، فقال ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى لما خلق

---

(١) رواه البخاري في كتاب الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ﴾ (ج٦، ص٢٨٦).

(٢) رواه مسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، (ج٤، ص٢٠٤٤)، حديث ٢٦٥٣. والآجري في الشريعة (ص١٧٦).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (ج٢،ص٤٩٨)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، ورواه الآجري في الشريعة (ص١٧٩) مع اختلاف في بعض الألفاظ، والبيهقي في السنن الكبرى (ج٩،ص٣).

آدم مسح ظهره بيمينه حتى استخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون. فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: إن الله إذ خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار»(١).

وعند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره يومئذ فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى، ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله عز وجل»(٢).

وغير ذلك من الأحاديث كثير.

التقدير الثالث: العمري: والجنين في بطن أمه. وذلك عند تخليق النطفة والنفخ فيها، فتكتب ذكورتها أو أنوثتها ورزقها وأجلها وشقية أو سعيدة. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ

---

(١) رواه مالك في الموطأ، كتاب القدر، باب النهي عن القول في القدر (ج٢/ ٨٩٨-٨٩٩)، وأبو داود في كتاب السنة، باب القدر، (ج٤/ ٢٢٦-٢٢٧) حديث ٤٧٠٣، والترمذي (ج٥،ص٢٦٦)، حديث ٣٠٧٥، وأحمد (ج١،ص٤٤)، والآجري في الشريعة (ص١٧٠)، والحاكم في المستدرك (ج١، ص٢٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ج٢،ص٥٧)، وأخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه واللالكائي وعبد بن حميد كما في الدر المنثور (ج٣ ص٦٠١). والحديث صحيح لشواهده سوى مسح الظهر. انظر: شفاء العليل (ص١٠)، ومعارج القبول (ص٩٣٢-٩٣٣) (المتن والحاشية).

(٢) رواه أحمد في المسند (ج٢، ص١٧٦،١٩٧)، والترمذي (ج٥،ص٢٦)، حديث ٢٦٤٣ وقال حديث حسن. وابن حبان في صحيحه (ج٨ ص١٦) والحاكم في المستدرك (ج١ ص٣٠) والآجري في الشريعة (ص١٧٥).

مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا..الآية﴾ [الحج:٥].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك. ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[1].

وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «وكل الله بالرحم ملكاً فيقول أي رب نطفة؟ أي رب علقة؟ أي رب مضغة؟ فإذا أراد أن يقضي خلقها قال: يا رب ذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب ذلك في بطن أمه»[2].

وغير ذلك من الأحاديث كثير.

التقدير الرابع: الحولي في ليلة القدر:

يقدر الله ما يكون في السنة إلى مثلها. قال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ

(١) رواه البخاري في القدر، باب في القدر، (ج١١، ص٤٧٧)، ومسلم في القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (ج١٤،ص٢٠٣٦).

(٢) رواه البخاري في القدر في فاتحته، (ج١١، ص٤٣٠)، ومسلم في القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه برقم ٢٦٤٦. وانظر جامع الأصول (ج١٠، ص١١٥)، حديث ٧٥٨٣.

أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝﴾ [الدخان:١-٥]. وهذه الليلة المباركة هي ليلة القدر لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝﴾ [القدر:١].

قال سفيان عن أبي نجيح عن مجاهد، ليلة القدر: ليلة الحكم.

قال سفيان عن محمد بن سوقة عن سعيد بن جبير: يؤذن للحجاج في ليلة القدر فيكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم فلا يغادر منهم أحد ولا يزاد فيهم ولا ينقص منهم.

وقال ابن عباس: يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحجاج يقال: يحج فلان ويحج فلان.

التقدير الخامس: اليومي:

وهو سوق المقادير إلى المواقيت التي قُدّرت لها فيما سبق. قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝﴾ [الرحمن:٢٩].

وروى ابن جرير عن منيب بن عبد الله بن منيب الأزدي عن أبيه قال «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩] فقلنا يا رسول الله وما ذاك الشأن؟ قال: أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين»[١].

وقال الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير (كل يوم هو في شأن) قال: «من شأنه أن يجيب داعياً، أو يعطي سائلاً، أو يفك عانياً، أو يشفي سقيماً»[٢]. وقال

---

(١) تفسير ابن جرير (ج٢٧،ص١٣٥)، والنسفي (ج٣، ص٤٥٦)، والسيوطي في الدر المنثور (ج٦،ص١٤٣). وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه من لم أعرفهم. المجمع ج٧،ص١٢٠).

(٢) أخرجه ابن جرير (ج٢٧، ص١٣٥)، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي كما في الدر المنثور (ج٦، ص١٤٤).

الحسين بن فضيل: هو سوق المقادير إلى المواقيت»[(١)].

وجملة القول في ذلك أن التقدير اليومي: هو تأويل المقدور على العبد وإنفاذه فيه في الوقت الذي سبق أن يناله فيه لا يتقدمه ولا يتأخره. ثم إن هذا التقدير اليومي تفصيل من التقدير الحولي، والحولي تفصيل من التقدير العمري عند تخليق النطفة، والعمري تفصيل من التقدير العمري الأول يوم الميثاق، والعمري الأول تفصيل من التقدير الأزلي الذي خطه في الإمام المبين، والإمام المبين من علم الله عز وجل، وكذلك منتهى المقادير في آخريتها إلى علم الله عز وجل، فانتهت المقادير في أوليتها وآخريتها إلى علم الله عز وجل قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ [النجم:٤٢][(٢)].

المرتبة الثالثة: المشيئة. من مراتب الإيمان بالقدر

الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهما يجتمعان فيما كان وما سيكون ويفترقان في ما لم يكن ولا هو كائن. فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة. وما لم يشأ الله تعالى لم يكن لعدم مشيئة الله تعالى إياه ليس لعدم قدرته عليه[(٣)].

وأدلة هذه المرتبة كثيرة من الكتاب والسنة والإجماع.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران:٤٠]. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [هود:١١٨]. وقال تعالى عن نوح أنه قال لقومه: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ [هود:٣٣].وقال أبو الأنبياء لقومه: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ﴾ [الأنعام:٨٠].

---

(١) تفسير النسفي (ج٣،ص٤٥٦).

(٢) انظر: معارج القبول (ج٣،ص٩٣-٩٤).

(٣) انظر: معارج القبول (ص٩٤٠)، وشفاء العليل (ص٤٤).

ومن السنة: قوله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري: «اشفعوا لتؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء»(١).

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ يكلمه في بعض الأمر، فقال الرجل لرسول الله ﷺ: ما شاء الله وشئت. فقال ﷺ: أجعلتني لله عدلاً؟ بل ما شاء الله وحده»(٢).

وفي حديث النواس بن سمعان سمعت النبي ﷺ يقول: «ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء الله أن يقيمه أقامه وإن شاء الله أن يزيغه أزاغه»(٣).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة يرفعه: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن الله ولا تعجز. وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»(٤).

وفي صحيح البخاري مرفوعاً: «مثل الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى

---

(١) رواه البخاري (جـ١٠، ص٣٧٦) في الأدب، باب قوله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾، ومسلم برقم ٢٦٢٧ في البر، باب استحباب الشفاعة، وأبو داود برقم ٥١٣١ في الأدب في الشفاعة، والترمذي برقم ٢٦٧٤ في العلم، باب الدال على الخير كفاعله، والنسائي (جـ٥/ ٧٨) في الزكاة باب الشفاعة في الصدقة، وأحمد (جـ٤/ ٤٠٠، ٤٠٣). وانظر: جامع الأصول حديث ٤٨٠٧، وشفاء العليل (ص٤٤).

(٢) رواه أحمد (١/ ٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣، ٣٤٧)، والحاكم عن ابن عباس. انظر: كنز العمال (جـ٣، حديث ٨٣٧٧)، وشفاء العليل (ص٤٥).

(٣) رواه أحمد (٢/ ١٨٢)، والدارقطني في الصفات. انظر: كنز العمال (جـ١، حديث ١٦٨٤)، وشفاء العليل (ص٤٥).

(٤) رواه مسلم في القدر(٣٤)، وابن ماجه في الزهد (١٤).

يقصمها الله إذا شاء»[١].

وقد أجمع المسلمون على أن الحالف إذا استثنى في يمينه متصلاً بها فقال: لأفعلن كذا أو لا أفعله -إن شاء الله- أنه لا يحنث إذا خالف ما حلف عليه لأن من أصل أهل الإسلام أنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله، فإذا علق الحالف الفعل أو الترك بالمشيئة لم يحنث عند عدم المشيئة ولا تجب عليه الكفارة»[٢].

فإذا لم يقع شيء فإنما هو لعدم مشيئة الله تعالى إيجاده أو إيقاعه لا أنه عجز عنه تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر:٤٤].

المرتبة الرابعة

مرتبة خلق الله سبحانه وتعالى الأعمال وتكوينه وإيجاده لها:

وهو الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، فهو خالق كل عامل وعمله وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه، وما من ذرة في السماوات ولا في الأرض إلا والله سبحانه وتعالى خالقها وخالق حركتها وسكونها سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه.

والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب، والسنة، وأقوال السلف.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر:٦٢] وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات:٩٦]. وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]. وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر:٦]. وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد (٣١)، ومسلم في كتاب المنافقين (٥٩-٦٠)، وأبو داود في كتاب الرقاق(٣٦)، وأحمد (٢/ ٥٣٢).

(٢) انظر: شفاء العليل (ص٤٧).

لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ..الآية﴾ [النحل:٨١].

ومن السنة: قوله ﷺ فيما رواه البخاري في كتاب (خلق أفعال العباد) قال: حدثنا علي بن عبد الله، ثنا مروان بن معاوية، ثنا أبو مالك عن ربعي بن حراش عن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يصنع كل صانع وصنعته» قال البخاري: وتلا بعضهم عند ذلك ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات:٩٦][1] فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة لله[2].

وقوله ﷺ فيما رواه مسلم ومالك عن طاوس اليماني قال: سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»[3].

وقوله ﷺ في الحديث الذي رواه ابن عباس أنه ﷺ قال: «..رب اجعلني لك شاكراً لك ذاكراً، لك راهباً، لك مطواعاً، بك مخبتاً، وإليك أواهاً منيباً..»[4] فسأل ربه أن يجعله كذلك وهذه كلها أفعال اختيارية واقعة بإرادة العبد واختياره مما يدل

---

(١) إسناده صحيح رواه البخاري في كتابه خلق أفعال العباد برقم١١٧ (ص٣٩-٤٠). وانظر: الحاشية من نفس الصفحة، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (ص٢٦٠)، وفي الاعتقاد (ص٧٥)، والحاكم (ج١، ص٣١)، والبزار كما في مجمع الزوائد (ج٧،ص١٩٧).

(٢) انظر: خلق أفعال العباد للبخاري (ص٤٠).

(٣) رواه البخاري في خلق أفعال العباد برقم ١٢١ (ص٤٠-٤١)، ومسلم برقم٢٦٥٥ في القدر، باب كل شيء بقدر، ومالك في القدر، باب النهي عن القول في القدر (ج٢، ص٨٩٩). وانظر جامع الأصول حديث ٧٥٨٧، والآجري في الشريعة(ص٢١٣).

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (ج٣،ص٣١٠)، والترمذي برقم ٣٥٤٦ في الدعوات باب من أدعية النبي ﷺ، وأبو داود برقم ١٥١٠ في الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا سلم، وابن ماجة برقم ٣٨٣٠ في الدعاء، باب دعاء النبي ﷺ وابن حبان في صحيحه برقم ٢٤١٤، وهو حديث صحيح. انظر: جامع الأصول حديث ٢٣٥٥.

على أنها مجعولة لله[1].

وغير ذلك من الآيات والأحاديث والآثار الشيء الكثير. وإنما اكتفيت بما ذكرته إيثاراً للإيجاز.

(١) شفاء العليل (ص٥٦).

الفصل الثاني

انقسام الناس في القدر

تمهيد

ذكرنا في المقدمة أن من المسائل التي اختلف فيها مسألة القدر وأن المختلفين انقسموا إلى غلاة في الإثبات وهم من يسمون بالجبرية، وإلى غلاة في النفي وهم من يسمون بالقدرية وإلى متوسطين، وهم أهل السنة والجماعة. والآن نذكر -إن شاء الله- لمحة موجزة عن كل فرقة من الغلاة ورأيهم وموقف أهل السنة، ثم نقر المذهب الوسط، وهو مذهب أهل السنة والجماعة فنقول وبالله التوفيق

المبحث الأول: الذين غلوا في إثبات القدر وهم الجبرية

أولاً: في التعريف بالجبر والجبرية وأول من قال بهذه البدعة ونشرها.

الجبر: لغة، هو القهر والإكراه[(١)].

والمراد به هنا: نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى[(٢)].

أما الجبرية: فهم الذين يزعمون بأن العبد مجبور على عمله بمعنى أن حركاته بمنزلة حركات الجماد ولا قدرة له عليها ولا اختيار[(٣)].

---

(١) انظر: لسان العرب مادة جبر، (جا، ص٣٩٥).

(٢) الملل والنحل للشهرستاني، (جا، ص١٠٨).

(٣) انظر: لوامع الأنوار البهية (ص٣٠٦)، والتعريفات للجرجاني (ص٧٧)، والملل والنحل (جا ،ص١١٠،١١١).

وأول من قال بهذا المذهب الباطل هو الجعد[١] بن درهم مؤدب مروان[٢] بن محمد آخر الخلفاء بني أمية، ولذا كان يلقب بمروان الجعدي لأنه تعلم من الجعد مذهبه في القول بخلق القرآن والقدر وغير ذلك[٣].

وعن الجعد بن درهم أخذ هذا المذهب تلميذه الجهم بن[٤] صفوان مؤسس فرقة الجهمية[٥] فقد تلقى عنه هذه البدعة مع بدع أخرى أصبحت فيما بعد من أسس الجهمية، حتى أن هذه الفرقة هي التي قامت بهذا المذهب ونشرته وأيدته ببعض الشبهات الباطلة، وأصبح يطلق عليهم الجبرية لقولهم بهذا المذهب الباطل[٦].

---

(١) هو الجعد بن درهم من الموالي مبتدع، له أخبار في الزندقة، سكن الجزيرة، وأخذ عنه مروان بن محمد لما ولي الجزيرة الفراتية في أيام هشام بن عبد الملك، وقيل كان الجعد مؤدبه في صغره، ومن أراد ذم مروان لقبه بالجعدي نسبة إليه ولما شهد عليه بالزندقة وبعض البدع كقوله: إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، طلبه هشام بن عبد الملك فظفر به وسيره إلى خالد بن عبد الله القسري في العراق وأمر بقتله فقتله في عيد الأضحى من سنة ١١٨هـ. انظر: الأعلام (جـ٢، ص١٢٠).

(٢) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي أبو عبد الملك ويعرف بالجعدي نسبة إلى الجعد بن درهم، وبالحمار لجرأته في الحروب. آخر ملوك بني أمية في الشام، ولد بالجزيرة سنة٧٢هـ، وقتل في بوصير من أعمال مصر سنة ١٣٢هـ. وخلافته إلى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر. انظر: الأعلام (جـ٧،ص٢٠٨-٢٠٩).

(٣) انظر: الكامل لابن الأثير (جـ٤ص٣٣٢).

(٤) هو أبو محرز الجهم بن صفوان الراسبي مولاهم السمرقندي مؤسس فرقة الجهمية، قتله مسلم بن أحوز سنة ١٢٨ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (جـ٦،ص٢٦-٢٧)، الملل والنحل (جـ١،ص١٩٩)، الكامل لابن الأثير (جـ٥،ص٣٤٢-٣٤٤).

(٥) هي فرقة من الفرق الضالة تنتسب إلى مؤسسها الجهم بن صفوان وقد اهتمت هذه الفرقة أولاً بالبحث في الأصول، ثم توسعت بعد ذلك كسائر الفرق التي استفحل أمرها وكثر رجالها. انظر: تاريخ الجهمية والمعتزلة (ص٦).

(٦) انظر: الفصل (جـ٤،ص٢٠٤)، لوامع الأنوار البهية (جـ١، ص٩٠). البداية والنهاية لابن كثير (جـ٩، ص٣٥٠)،(جـ١٠،ص١٩).

ثانياً: رأي الجبرية في القدر مع المناقشة

أ-رأي الجبرية:

يتلخص رأي الجبرية في هذه المسألة: في أنه لا فعل لأحد غير الله تعالى، والإنسان مجبور على عمله. والأعمال تنسب إليه مجازاً كما تنسب إلى الجماد، فالإنسان والجماد لا يختلفان، فكتب فلان وقتل مجازاً كما يقال أثمر الشجر وتحرك الحجر.

والثواب والعقاب جبر كما أن الأفعال جبر: وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضاً كان جبراً[١].

يقول البغدادي: «وقال -أي الجهم- لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز كما يقال زالت الشمس ودارت الرحى من غير أن تكونا فاعلتين أو مستطيعتين لما وصفتا به»[٢].

ويقول الشهرستاني -وهو يعدد آراء الجهم بن صفوان-: « ومنها قوله في القدرة الحادثة: إن الإنسان ليس يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة وإنما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وينسب إليه الأفعال مجازاً كما ينسب إلى الجمادات كما يقال أثمرت الشجرة وجرى الماء.. إلى غير ذلك. والثواب والعقاب جبر كما أن الأفعال جبر. وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضاً كان جبراً»[٣].

---

(١) انظر: التبصير في الدين ص١٠٧، الفصل (ج٣ ص٢٢)؛ الملل والنحل (ج١،ص١١٠-١١١).

(٢) الفرق بين الفرق (ص٩٦).

(٣) الملل والنحل (ج١،ص١١٠-١١١).

ب-شبهاتهم مع المناقشة

لقد تمسك الجبرية -عند قولهم بهذه البدعة- بشبهات منها ما يلي:

الشبهة الأولى: يقول الإمام شارح الطحاوية: «فمما استدلت به الجبرية قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧] فنفى الله تعالى عن نبيه الرمي وأثبته لنفسه سبحانه فدل على أنه لا صنع للعبد»[١].

المناقشة: يقال لهم هذا دليل عليكم لا لكم؛ لأنه تعالى أثبت لرسوله ﷺ رمياً بقوله: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ فعلم أن المثبت غير المنفي وذلك أن الرمي له ابتداء وانتهاء، فابتداؤه الحذف، وانتهاؤه الإصابة، وكل منهما يسمى رمياً، فالمعنى حينئذ -والله تعالى أعلم- وما أصبت إذ حذفت ولكن الله أصاب. وإلا فطرد قولهم: وما صليت إذ صليت ولكن الله صلى! ما صمت إذ صمت! وما زنيت إذ زنيت! وما سرقت إذ سرقت!! وفساد هذا ظاهر[٢].

الشبهة الثانية: يقول الإمام ابن حزم -رحمه الله-: «فأما من قال بالإجبار فإنهم احتجوا فقالوا: لما كان الله تعالى فعالاً وكان لا يشبهه شيء من خلقه وجب ألا يكون أحد فعالاً غيره»[٣].

المناقشة: يقال لهم احتجاجكم بهذه الشبهة خطأ من القول لوجوه منها:

الأول: أن النص قد ورد بأن للإنسان أفعالاً كما قال تعالى: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٧٩﴾ [المائدة:٧٩]. فأثبت الله لهم الفعل.

الثاني: إن النص ورد بأن للإنسان اختياراً كما قال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠﴾ [الواقعة:٢٠] لأن أهل الدنيا وأهل الجنة سواء في أنه تعالى خالق أعمال الجميع.

---

(١) شرح الطحاوية (ص٤٩٤).

(٢) شرح الطحاوية (ص٤٩٥).

(٣) الفصل (ج٣، ص٢٢-٢٣).

وهذا لا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص:٦٨]؛ لأن الاختيار الذي هو فعل لله تعالى وهو منفي عما سواه هو غير الاختيار الذي أضافه إلى خلقه ووصفهم به؛ إذ أن الاختيار الذي توحد الله به هو أنه يفعل ما شاء كيف شاء وإذا شاء وليست هذه صفة شيء من خلقه. وأما الاختيار الذي أضافه الله تعالى إلى خلقه فهو ما خلق فيهم من الميل إلى الشيء والإيثار له على غيره فقط.

ثالثاً: أن الاشتراك في الأسماء لا يقع من أجله التشابه ألا ترى أنك تقول الله الحي، والإنسان حي، ولا يوجب هذا اشتباهاً بلا خلاف، وإنما يقع الاشتباه بالصفات الموجودة في الموصوفين، وهذا غير موجود هنا، إذ أن هناك فرقاً بين الفعل الواقع من الله عز وجل، والفعل الواقع منا، وهو أن الله تعالى اخترعه وجعله جسماً أو عرضاً أو حركة أو سكوناً أو معرفة أو إرادة أو كراهية، وفعل عز وجل كل ذلك فينا بغير معاناة منه.

وأما نحن فإنما كان فعلاً لنا لأنه عز وجل خلقه فينا وخلق اختيارنا له وأظهره عز وجل فينا محمولاً لاكتساب منفعة أو لدفع مضرة ولم نخترعه[١].

فإذا ثبت أن الإنسان فعال وأنه مختار فيما يفعله وأنه لا تشابه بين فعل الحق سبحانه وتعالى وفعل العبد، بطل ما يزعمونه من أنه لا فعل للعبد لما يلزم من المشابهة بين الله وخلقه.

الشبهة الثالثة: كذلك مما جر الجبرية إلى القول بهذه البدعة اعتقادها بأنه يترتب على القول بإثبات القدرة للعبد قصور قدرة الله عن بعض المخلوقات ووجود شريك له في الخلق، والله يقول: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر:٦٢].

---

(١) الفصل لابن حزم (ج٣، ص٢٤-٢٥)(بتصرف).

ويقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦][1].

المناقشة: يقال لهم: اعتقادكم هذا باطل فإنه لا يترتب على القول بأن للعبد قدرة ومشيئة تحت قدرة الله ومشيئته ما ذكرتم من قصور قدرة الله عن بعض المخلوقات ووجود الشريك إلا إذا قيل بأن العبد مستقل بقدرته ومشيئته.

كما أن استدلالكم بهذه الآيات على هذا الاعتقاد باطل، فإنها لا تدل على ما زعمتموه، إذ أنها لا تنافي وجود قدرة للعبد تحت قدرة الله يفعل بها، فتكون أعماله خلقاً له مخلوقة لله.

ثالثاً: موقف أهل السنة والجماعة من القول بالجبر

لقد رفض أئمة أهل السنة هذه البدعة وعدوها من المذاهب الباطلة المنحرفة عن سواء السبيل[2]. ولذا ردوا على أصحابها ردوداً كثيرة ولكثرتها سأكتفي برد إمامين من أئمة أهل السنة.

أما الأول فالأمام ابن حزم -رحمه الله- حيث يقول -بعد عرض مقالتهم-: «وخطأ هذه المقالة ظاهر بالنص وبالحس وباللغة التي خاطبنا الله تعالى بها. فأما النص: فإن الله عز وجل قال في غير موضع من القرآن ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الواقعة:٢٤]. وقال تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢] فنص تعالى على أننا نعمل ونفعل.

وأما الحس: فإنه بالحواس وبضرورة العقل وببديهته علمنا علماً يقيناً لا يخالطه شك أن بين صحيح الجوارح وبين ما لا صحة بجوارحه فرقاً واضحاً؛ لأن صحيح الجوارح يفعل القيام والقعود وسائر الحركات مختاراً لها دون مانع، بخلاف ما لا

---

(١) انظر الفصل لابن حزم (ج٣،ص٥٧).

(٢) انظر: شفاء العليل (ص٥٤)، ولوامع الأنوار البهية (ج١،ص٣٠٦-٣١١).

صحة بجوارحه، فإنه لو أراد ذلك لم يستطع ولا بيان أبين من هذا الفرق.

وأما اللغة: فإن المجبر في اللغة هو الذي يقع الفعل منه بغير اختياره وقصده، فأما من وقع فعله باختياره وقصده فلا يسمى في اللغة مجبراً.

وإجماع الأمة على أنه لا حول ولا قوة إلا بالله مبطل قول الجبرة وموجب أن لنا حولاً وقوة ولكن لم يكن ذلك إلا بالله تعالى. ولو كان ما ذهب إليه المجبرة صحيحاً لكان قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، لا معنى له، وكذلك قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير:٢٨-٢٩]. فنص تعالى على أن لنا مشيئة إلا أنها لا تكون منا إلا أن يشاء الله كونها»[١].

وأما الثاني فالإمام ابن القيم حيث يقول- وهو يبين ما اشتملت عليه الفاتحة من الرد على جميع المبطلين-: «فصل: في تضمنها الرد على الجبرية وذلك من وجوه:

الأول: من إثبات عموم حمده سبحانه، فإنه يقتضي ألاّ يعاقب عبيده على ما لا قدرة لهم عليه ولا هو من فعلهم، بل هم بمنزلة ألوانهم وطولهم وقصرهم، بل هو يعاقبهم على نفس فعله بهم فهو الفاعل لقبائحهم في الحقيقة، وهو المعاقب لهم عليها، فحمده عليها يأبى ذلك أشد الأباء، وينفيه أعظم النفي فتعالى من له الحمد كله عن ذلك علواً كبيراً، بل إنما يعاقبهم على نفس أفعالهم التي فعلوها حقيقة، فهي أفعالهم لا أفعاله وإنما أفعاله العدل والإحسان والخيرات.

الثاني: إثبات رحمته ورحمانيته ينفي ذلك إذ لا يمكن مع اجتماع هذين الأمرين قط: أن يكون رحماناً رحيماً، ويعاقب العبد على ما لا قدرة له عليه ولا هو

---

(١) الفصل لابن حزم (ج٣، ص٢٣) (بتصرف).

من فعله بل يكلفه ما لا يطيقه ولا له عليه قدرة البتة ثم يعاقبه عليه، وهل هذا إلا ضد الرحمة ونقض لها وإبطال؟! وهل يصح في معقول أحد اجتماع ذلك والرحمة التامة الكاملة في ذات واحدة؟

الثالث: إثبات العبادة والاستعانة لهم ونسبتها إليهم بقولهم: «نعبد، ونستعين» وهي نسبة حقيقية لا مجازية والله لا يصح وصفه بالعبادة والاستعانة التي هي من أفعال عبيده، بل العبد حقيقة هو العابد المستعين، والله هو المعبود المستعان به[(١)].

وأقول: إنه يترتب على القول بهذه البدعة لوازم باطلة منها: القول بإبطال التكليف والثواب والعقاب، وإرسال الرسل وذلك أنه إذا كان العبد مجبوراً على عمله فكيف يثاب ويعاقب على ما لم يفعل؟ وكيف يكلف بعمل غيره؟ أليس هذه محض الظلم تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، ولِمَ أرسل الله الرسل ما دام العبد كالريشة في مهب الرياح؟

فليترك عالم الإنسان دون رسول كما ترك النبات والجماد دون رسول. فإذا كانت هذه اللوازم باطلة فما يؤدي إليها باطل. والله أعلم.

المبحث الثاني: الذين غلوا في نفي القدر وهم القدرية

أولاً: التعريف بهم، وأول من قال بهذه البدعة ونشرها

أ-التعريف بهم

القدرية: هم القائلون بإنكار القدر الإلهي من قبيل الاشتقاق من الضد إذ أنهم يرون أن للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى[(٢)].

---

(١) انظر: مدارج السالكين (جـ١،ص٦٥).

(٢) انظر الملل (جـ١،ص٣١،٥٤)، والفرق بين الفرق (ص٦٨).

وهم فرقتان: القدرية الأولى، أتباع معبد[١] الجهني وغيلان[٢] الدمشقي القائلون بإنكار القدر بمعنى العلم والتقدير. وهذه الفرقة انقرضت كما سيأتي.

القدرية الثانية: وهم المثبتون للعلم والكتابة لكنهم يقولون إن العبد يخلق فعل نفسه، وهم المعتزلة كما سيأتي بيانه.

ب- أول من قال بهذه البدعة ونشرها

أول من تكلم بهذه البدعة في الإسلام معبد الجهني -كما يقول الذهبي[٣] وابن الأثير[٤]، وابن قتيبة[٥]، وابن كثير[٦]- أخذ ذلك عن نصراني من الأساورة يقال له أبو يونس ويعرف بالأسواري[٧].

وقال الأوزاعي: أول من نطق بالقدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد[٨].

---

(١) هو معبد بن عبد الله بن عليم الجهني البصري، أول من قال بالقدر في البصرة، حضر يوم التحكيم وانتقل من البصرة إلى المدينة فنشر فيها مذهبه وعنه أخذ غيلان الدمشقي، خرج مع ابن الأشعث على الحجاج فقتله الحجاج صبراً بعد أن عذبه. وقيل صلبه عبد الملك ابن مروان بدمشق على القول في القدر ثم قتله سنة ٨٠هـ. انظر الأعلام (ج٧،ص٦٤).

(٢) هو غيلان بن مسلم الدمشقي أبو مروان، ثاني من تكلم في القدر لم يسبقه سوى معبد الجهني، قبل تاب عن القول في القدر على يد عمر بن عبد العزيز فلما مات عمر جاهر بمذهبه، فطلبه هشام بن عبد الملك وأفتى الأوزاعي بقتله، فصلب على باب كيسان بدمشق- انظر: الأعلام (ج٥ ص١٢٤).

(٣) انظر: ميزان الاعتدال (ج٣،ص١٨٣).

(٤) انظر: الكامل لابن الأثير (ج٤، ص٧٥).

(٥) انظر: المعارف لابن قتيبة (ص١٦٦).

(٦) انظر: البداية والنهاية (ج٩، ص٣٤).

(٧) انظر: الخطط للمقريزي (ج٤، ص٧٦)، والملل (ج١، ص٣١)، وتهذيب التهذيب (ج١٠، ص٢٢٥).

(٨) رواه الآجري في الشريعة (ص٢٤٣)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم ١٣٩٨، (ص٧٤٩-٧٥٠)، وابن كثير في تاريخه البداية والنهاية (ج٩،ص٣٤)، وابن بطة في الإبانة (ج٢،ص٤١٤-٤١٥).

وقيل: بل أول من تكلم فيه معبد[١] بن عبد الله بن عويمر قاله السمعاني وبعض علماء الأشاعرة[٢]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد روي أن أول من ابتدعه بالعراق رجل من أهل البصرة يقال له سيسويه من أبناء المجوس وتلقاه عنه معبد الجهني[٣].

والأظهر: أن أول من تكلم في القدر معبد الجهني، لكنه قاله متأثراً ببعض العناصر غير المسلمة كالنصارى والمجوس. وعن معبد الجهني أخذ غيلان بن مسلم الدمشقي. وعلى يديه كان نشر هذه البدعة.

ونظراً لإفراط معبد وأصحابه- وهم القدرية الأولى- في نفي القدر، إذ أنهم لم يقفوا عند القول بأن العبد يخلق فعل نفسه فحسب، بل تطرفوا حتى نفوا القدر بمعنى العلم والتقدير. فيروى عن معبد أنه كان يقول: «لا قدر والأمر أنف»[٤] أي مستأنف. ولرفض الصحابة والتابعين هذه البدعة، وتحذيرهم[٥] من اتباعها، ولوقوف الدولة الإسلامية منهم الموقف الحازم، إذ نرى الخليفة عبد الملك بن مروان يأمر بقتل معبد الجهني[٦]. ونرى الخليفة عمر بن عبد العزيز يستتيب غيلان الدمشقي حتى تاب ورجع عن هذه البدعة في حياة عمر، وبعد وفاة عمر بن عبد العزيز رجع غيلان إلى ضلالته فقبض عليه الخليفة هشام بن عبد الملك فقتله وصلبه[٧].

---

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) لوامع الأنوار البهية (ج١،ص٢٩٩).

(٣) الفتاوى (ج٧، ص٣٨٤).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب القدر، (ج١، ص١٥٠-١٥٦).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب القدر، (ج١، ص١٥٦)، ولوامع الأنوار البهية (ج١، ص٢٩٩-٣٠٠).

(٦) انظر: الأعلام (ج٧، ٢٦٤).

(٧) انظر: الأعلام (ج٥،ص١٢٤).

نظراً لما ذكرت فإن هذه البدعة بهذا الشكل لم يكتب لها البقاء ولذا لما قامت المعتزلة -وهم القدرية الثانية- وتلقت هذه البدعة، كانت أخف وأقل تفريطاً من معبد وأصحابه، إذ نراهم لا ينكرون علم الله الأزلي وإن كانوا يوافقون معبداً في القول بأن العبد يخلق فعل نفسه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «..ولكن لما اشتهر الكلام في القدر ودخل فيه كثير من أهل النظر والعبادة، صار جمهور القدرية يقرون بتقدم العلم، وإنما ينكرون عموم المشيئة والخلق..»[١].

ويقول ابن حجر: القدرية اليوم مطبقون على أن الله عالم بأفعال العباد قبل وقوعها وإنما خالفوا السلف في زعمهم بأن أفعال العباد مقدورة لهم واقعة منهم على جهة الاستقلال وهو مع كونه مذهباً باطلاً أخف من المذهب الأول»[٢].

ثانياً: رأي القدرية في القدر مع المناقشة

أ-رأي القدرية في القدر

تمهيد: ذكرت -آنفاً- نشأة القدرية وأنها فرقتان، وأن القدرية الأولى انقرضت، ولم يبق إلا القدرية الثانية والذين يعرفون بالمعتزلة. والآن لنعرف رأيهم في القدر مستقى من أقوال أئمتهم، وغيرهم. فنقول وبالله التوفيق:

يقول القاضي عبد الجبار[٣]: «اتفق كل أهل العدل[٤] على أن أفعال العباد من

---

(١) الفتاوي (ج٧، ص٣٨٥).

(٢) لوامع الأنوار البهية (ج١،ص٣٠١).

(٣) هو أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل الهمذاني الأسد آبادي، ولد سنة ٣٢٠هـ على الأرجح وتوفي سنة ٤١٥هـ، كان أشعرياً ثم أنتقل إلى الإعتزال بعد اتصاله بالعالم المعتزلي أبي إسحاق بن عياش عاصر بني بويه، له مؤلفات منها المغني في أبواب العدل، وشرح الأصول الخمسة. انظر: الأعلام (ج٤، ص٤٧)، معجم المؤلفين (ج٥، ص٧٨-٧٩).

(٤) هم المعتزلة وأطلق عليهم أهل العدل: لقولهم بالقدر.

تصرفهم وقيامهم وقعودهم حادثة من جهتهم، وأن الله عز وجل أقدرهم على ذلك ولا فاعل لها ولا محدث سواهم وأن من قال: إن الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه وأحالوا حدوث فعل من فاعلين»[١].

ويقول القاضي -في موضع آخر- «..والغرض به الكلام في أن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وأنهم المحدثون لها»[٢].

ويقول البغدادي -وهو يتحدث عن أصول المعتزلة- «..ومنها قولهم جميعاً بأن الله تعالى غير خالق لأكساب الناس، ولا لشيء من أعمال الحيوانات، وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون أكسابهم، وأنه ليس لله عز وجل في أكسابهم ولا في سائر الحيوانات صنع ولا تقدير ولأجل هذا القول سماهم المسلمون قدرية»[٣].

من هذه النصوص يتضح أن القدرية الثانية يرون ما يلي:

أ. أن الله غير خالق لأفعال العباد، ولا لشيء من أعمال الحيوانات وأنه ليس له فيها صنع ولا تقدير.

ب. أن العباد هم المحدثون لأفعالهم.

ب- شبهات القدرية والرد عليها

لقد تمسك القدرية في قولهم إن العباد يخلقون أفعالهم بشبهات نقلية وعقلية وإليك شيء منها مع المناقشة:

الشبهة الأولى: قوله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل:٨٨].

وجه الاستدلال بالآية: يقول القاضي عبد الجبار -بعد أن أورد هذه الآية

---

(١) المغني في أبواب العدل والتوحيد (ج٨، ص٣).

(٢) شرح الأصول الخمسة (ص٤٢٣).

(٣) الفرق بين الفرق (ص٩٤).

للاستدلال- «..إن الله سبحانه وتعالى بين أن أفعاله كلها متقنة، والإتقان يتضمن الإحكام والحسن جميعاً حتى لو كان محكماً، ولو لم يكن حسناً لكان لا يوصف بالإتقان، ألا ترى أن أحدنا لو تكلم بكلام فصيح يشتمل على الفحش..؛ فإنه وإن وصف بالأحكام لا يوصف بالإتقان، ثم قال: إذا ثبت هذا ومعلوم أن في أفعال العباد ما يشتمل على التهود والتنصر والتمجس، وليس شيء من ذلك متقناً، فلا يجوز أن يكون الله تعالى خالقاً لها»(١).

الجواب: يقال لهم إن هذا الاستدلال باطل لما يلي:

أولاً: إن الإتقان لا يحصل إلا في المركبات، فيمتنع وصف الأعراض به(٢). وإذا لم توصف الأعراض بالإتقان، بطل الاستدلال بالآية لأن الاستدلال بها ينبني على أن الإتقان يكون في الأعراض.

ثانياً: يقول الإمام ابن حزم: «إن هذه الآية حجة عليهم لا لهم لأن الله تعالى أخبر أنه بصنعه أتقن كل شيء، وهذا على عمومه وظاهره، فالله تعالى صانع كل شيء، وإتقانه له إن خلقه جوهراً أو عرضاً جاريين على رتبة واحدة أبداً، وهذا عين الإتقان»(٣). وبهذا يظهر بطلان الاستدلال بالآية والله أعلم.

الشبهة الثانية: يقول القاضي عبد الجبار: «ومن الأدلة على أن العباد خالقون أفعالهم قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ﴾ [ص:٢٧].

ثم قال: فقد نفى الله تعالى أن يكون في خلقه باطل، فلولا أن هذه القبائح وغيرها من التصرفات من جهتنا ومتعلقة بنا، وإلا كان يجب أن تكون الأباطيل

---

(١) شرح الأصول الخمسة (ص٣٥٨).

(٢) التفسير الكبير (ج٢٤، ص٢٢٠).

(٣) الفصل (ج٣، ص٦٥).

كلها من قبله، فيكون مبطلاً كاذباً. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً»[١].

الجواب: يقال لهم: إن معنى الآية أن الله تعالى ما خلق السموات والأرض وما بينهما عبثاً ولعباً على ما يتوهمه من زعم أنه لا حشر، ولا نشر، ولا ثواب، ولا عقاب، بل خلقهما بالحق للاعتبار بهما والاستدلال على خالقهما، ومن ثم إثابة المتقين الطائعين، ومجازاة المذنبين والكافرين، ولذلك قال تعالى بعدها: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٢٧]. يعني من إنكارهم الثواب والجزاء والعقاب[٢]. وعلى ذلك قولهم: إن معنى الآية « نفي أن يكون في خلقه باطل» غير صحيح، وإذا كان غير صحيح بطل الاستدلال بالآية.

الشبهة الثالثة: قالت القدرية: وجدنا أفعالنا واقعة على حسب قصدنا، فوجب أن تكون خلقاً لنا، وفعلاً لنا، قالوا وبيان ذلك؛ أن الواحد منا إذا أراد أن يقوم قام، وإذا أراد أن يقعد قعد، وإذا أراد أن يتحرك تحرك، وإذا أراد أن يسكن سكن، وغير ذلك. فإذا حصلت أفعاله على حسب قصده ومقتضى إرادته، دل ذلك على أن أفعاله خلق له وفعل له[٣].

الجواب: يقال لهم: إن هذه الشبهة باطلة وبيان ذلك من وجوه منها:

أولاً: قولكم: «إن أفعال العباد تحصل بحسب قصودهم..» غير صحيح على إطلاقه فإنا نرى من يريد شيئاً ويقصده، ولا يحصل له ذلك فإنه ربما أراد أن ينطق بصواب فيخطىء، وربما أراد أكلاً لقوة وصحة فيضعف ويمرض، وربما أراد القيام فيعرض له ما يمنعه منه إلى غير ذلك فبطل ما

---

(١) شرح الأصول الخمسة (ص٣٦٢).

(٢) التسهيل لابن جزي (ج٣، ص٤٠٠)، والطبري (ج٢، ص١٧٣)، والقرطبي (ج٥، ص١٩١)، والتمهيد (ص٣١٢)(بتصرف).

(٣) شرح الأصول الخمسة (ص٣٣٦-٣٣٧)، والإنصاف (ص١٣٥).

ذكرتموه، وصح أن فعله خلق لغيره يجري على حسب مشيئة الخالق تعالى، وإنما يظهر كسبه لذلك الفعل بعد تقدم المشيئة والخلق من الخالق[١].

ثانياً: أن وقوع الكسب من الخلق على حسب القصد منهم، لا يدل على أنه خلق لهم.. ودليل ذلك أن مشي الفرس مثلاً، يحصل على قصد الراكب وإرادته من عدوٍ وتقريب.. ووقوف إلى غير ذلك ولا يقول عاقل: إن الراكب خلق جري الفرس ولا سرعتها ولا غير ذلك من أفعالها، فبطل أن يكون حصول الفعل على قصد الفاعل دليلاً على أنه خلقه. ومثل ذلك السفن يحصل سيرها وتوجهها.. على حسب قصد الملاح ولا يدل ذلك على أن الملاح خلق سير السفن ولا توجهها، فإن كابروا الحقائق وقالوا: نقول: إن ذلك خلقه الملاح والفارس، فقد خرجوا عن الدين، وسووا بين الخالق والعباد في أن قدرة كل واحد منهما تتعلق بمقدورات، وهذا كفر صراح. وإن قالوا: حركات السفن تقع على حسب قصد الملاح، وليست بخلق له، قلنا: فكذلك أفعال أحدنا تقع -ولا نقول: إنها تقع في كل حال- على حسب قصده، ولا يدل على ذلك على أنه خلقها.. بل الخالق لها هو الله تعالى[٢].

ثالثاً: نحن لا نقول: إن العبد مجبور على أفعاله، بل نقول: إن العبد له قدرة ومشيئة لكنها تحت قدرة الله ومشيئته[٣]. وإذا كان كذلك، فإن ما يحصل منه من تصرفات قد تقع على حسب قصده لا يمنع أن تكون بهذه القدرة التي أعطاه الله إياها، والتي لا تخرج عن قدرة الله الشاملة. وعلى

---

(١) الإنصاف (ص١٥٣) (بتصرف).

(٢) الأنصاف (ص١٥٣-١٥٤) (بتصرف).

(٣) انظر: الفتاوى (جـ٨،ص٣٩٣-٣٩٤).

ذلك فكون العْبد يحصل له بعض التصرفات على حسب قصده لا يـدل على أنه هو الخالق لأفعاله وعليه فتبطل هذه الشبهة والله أعلم.

ثالثاً: موقف أهل السنة والجماعة من هذه البدعة

لقد رفض أهل السنة والجماعة هذه البدعة وأنكروها بقـوة الدليـل والبرهـان. لكن اختلف حكمهم باختلاف هؤلاء القدرية.

فأما القدرية الأولى أصحاب معبد وغيلان القـائلون بإنكـار العلـم المتقـدم وأن الأمر أنف -أي مستأنف- فقد حكموا عليهم بالكفر.

روى مسلم وأبو داود والترمذي وأحمد، عن يحيى بن يعمر قال: كـان أول مـن قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميـد بـن عبـد الرحمـن الحمـيري حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحداً من أصحـاب رسـول الله ﷺ فسـألناه عمـا يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بـن عمـر بـن الخطـاب رضـي الله عنـهما داخلاً المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شمالـه فظننـت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت: أبا عبد الرحمن إنه ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ويتقفـرون العلـم -وذكـر مـن شأنـهم- وأنـهم يزعمـون أن لا قـدر وأن الأمـر أنف،فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم إني بـريء منـهم وأنـهم بـراء مـني، والـذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبـاً فأنفقـه مـا قبـل الله منـه حتى يؤمن بالقدر ثم ساق حديث جبريل، وفيه «..وتؤمن بالقدر خيره وشره »[1].

قال وكيع الجـراح: «القدريـة يقولـون الأمـر مسـتقبل وأن الله لم يقـدر الكتابـة والأعمال.. إلى أن قال: هو كله كفر»[2].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الأيمان (١)، وأبـو داود في كتـاب السـنة (١٦)، والـترمذي في كتـاب الإيمان (٤)، وأحمد (٤/ ١٠٧).

(٢) الفتاوى (جـ٧،ص٣٨٥).

وقال الشافعي: «ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن أنكروه كفروا»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «..وقد نص الأئمة كمالك والشافعي وأحمد على كفر هؤلاء الذين ينكرون علم الله القديم»[٢].

وأما القدرية الثانية المثبتون للعلم والكتابة لكنهم يقولون إن العبد يخلق فعل نفسه فقد حكموا عليهم بأنهم مبتدعة ضالون.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «..وأما جمهور القدرية فهم يقرون بالعلم والكتاب المتقدم لكن ينكرون أن الله خلق أفعال العباد..إلى أن قال: وكل هؤلاء مبتدعة ضالون»[٣].

ويقول في موضع آخر: «..وأما هؤلاء -يعني الفرقة الثانية من القدرية- فإنهم مبتدعون ضالون لكن ليسوا بمنزلة أولئك[٤]»[٥].

ويقول الإمام ابن القيم: «وأما الفرقة الضالة: فإنهم اعتقدوا انفراد العبد بالخلق ثم صاروا إلى أنه إذا عصى فقد انفرد بخلق فعله والرب كاره له فكان العبد على هذا الرأي الفاسد مزاحماً لربه في التدبير موقعاً ما أراد إيقاعه شاء الرب أو كره»[٦].

ويقول الإمام شارح الطحاوية: «والقدرية نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع

---

(١) شرح الواسطية لابن رشيد (ص٢٦٩-٢٧٠).

(٢) الفتاوى (ج٨، ص٢٨٨). وانظر: الفتاوى (ج٧،ص٣٨٥).

(٣) الفتاوى (ج٨، ص٢٨٨-٢٨٩).

(٤) يريد القدرية الأولى.

(٥) الفتاوى (ج٧، ص٣٨٥).

(٦) شفاء العليل (ص١٢٤).

الله تعالى ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة، بل أردأ من المجوس من حيث أن المجوس أثبتوا خالِقَين وهم أثبتوا خالقين!!»[١].

المبحث الثالث: المتوسطون في القدر

وهم أهل السنة والجماعة:

أولاً: في بيان معنى التوسط، والمراد بأهل السنة والجماعة، ولِمَ سموا بذلك؟

أ. في بيان معنى التوسط:

التوسط لغة: الأعتدال، يقول ابن منظور في اللسان:وسط الشيء وأوسطه: أعدله.

وفي التنزيل قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا..الآية﴾ [البقرة:١٤٣].

قال الزجاج: فيه قولان؛ قال بعضهم: وسطاً أي عدلاً. وقال بعضهم: خياراً، واللفظتان: وإن اختلفتا، فالمعنى واحد لأن العدل: خير، والخير: عدل[٢].

والأظهر تفسير الوسط في الآية: بمعنى عدلاً، لما روى أبو سعيد عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا..الآية﴾ [البقرة:١٤٣] قال: عدلاً»[٣].

والمراد بالتوسط هنا: هو الاعتدال بين الإفراط والتفريط. فالمتوسطون: هم المعتدلون لا إفراط عندهم ولا تفريط. ولما كان التوسط مجانباً للغلو والتقصير كان محموداً[٤].

---

(١) شرح الطحاوية (ص٤٩٣-٤٩٤).

(٢) انظر: لسان العرب مادة وسط (ج٣، ص٩٢٤).

(٣) رواه الإمام أحمد (ج٣، ص٣،٩، ٢٢)، والترمذي تفسير سورة البقرة وصححه، والنسائي وابن ماجه وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان، والإسماعيلي في صحيحه، والحاكم وصححه عن أبي سعيد رضي الله عنه-انظر: فتح القدير (ج١، ص١٥٢).

(٤) انظر: فتح القدير، (ج١،ص١٥٠)، وتفسير وبيان (ص٢٢).

ب. المراد بأهل السنة والجماعة، ولم سموا بذلك؟

السنة لغة: الطريقة والسيرة[١].

والمراد بها هنا: هي طريقة الرسول ﷺ[٢].

والجماعة لغة: اسم للقوم المجتمعين من الاجتماع: وهو نقيض الفرقة[٣].

والمراد بها هنا: جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين[٤].

والمراد بأهل السنة والجماعة: هم الذين تمسكوا بالإسلام المحض الخالص عن الشوب حيث التزموا طريقة الرسول ﷺ وأصحابه في الإيمان والعمل واجتمعوا على الحق وهم المعنيون بقوله ﷺ: «ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»[٥]. وفي رواية: «قالوا من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على ما أنا عليه وأصحابي»[٦] [٧].

وسموا بأهل السنة والجماعة: لتمسكهم بسنة الرسول ﷺ وتقديمها على غيرها

---

(١) انظر: لسان العرب مادة سنن، (جـ٢، ص٢٢٢).

(٢) شرح الطحاوية (ص٤٣٠)

(٣) انظر: الفتاوى (جـ٣، ص١٥٧)، جامع الأصول (جـ٢، ص٣٢)، ولسان العرب مادة جمع.

(٤) شرح الطحاوية (ص٤٣٠).

(٥) رواه أبو داود عن معاوية بن أبي سفيان في كتاب السنة في باب شرح السنة، وأحمد في المسند برقم ١٠٢٤ وإسناده صحيح. انظر: جامع الأصول حديث ٧٤٨٨.

(٦) رواه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص في كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. انظر: جامع الأصول حديث ٧٤٩١.

(٧) انظر: لوامع الأنوار البهية (جـ١، ٧٣)(الحاشية)، والعقيدة الواسطية شرح محمد خليل هراس (ص١٨٣).

من السنن، ولاجتماعهم على الحق، وقيل للزومهم جماعة المسلمين[١].

ثانيا: مذهب أهل السنة والجماعة

هو مذهب سلف هذه الأمة وأئمة المسلمين كافة. وليتضح نضع أمامنا بعض النصوص من أقوال أئمة المسلمين، لنستنبط منها مذهب أهل السنة في هذه المسألة.

يقول ابن تيمية -رحمه الله- وهو يتكلم عن وسطية أهل السنة بين الفرق- «..وهم في باب خلق الله وأمره»، وسط بين المكذبين بقدرة الله الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وخلقه لكل شيء وبين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل، فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ..الآية﴾ [الأنعام:١٤٨] فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير يقدر أن يهدي العباد ويقلب قلوبهم وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في ملكه ما لا يريد ولا يعجز عن إنفاذ مراده وأنه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات، ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل وأنه مختار ولا يسمونه مجبورا إذ المجبور من أكره على خلاف اختياره، والله سبحانه جعل العبد مختارا لما يفعله فهو مختار مريد، والله خالقه وخالق اختياره وهذا ليس له نظير، فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله»[٢].

ويقول في موضع آخر: «ومما ينبغي أن يعلم أن مذهب سلف الأمة مع قولهم الله خالق كل شيء وربه ومليكه وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه على كل شيء قدير وأنه هو الذي خلق العبد هلوعا ونحو ذلك، أن العبد فاعل حقيقة وله

---

(١) انظر: الفتاوى (ج٣، ص١٥٧).

(٢) انظر: الفتاوى (ج٣، ص٣٧٣-٣٧٤).

مشيئة وقدرة. قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير:٢٨-٢٩][(١)]».

ويقول في موضع آخر: «..الذي عليه السلف وأتباعهم وأئمة أهل السنة وجمهور أهل الإسلام المثبتون للقدر المخالفون للمعتزلة إثبات الأسباب وأن قدرة العبد مع فعله لها تأثير كتأثير سائر الأسباب في مسبباتها، والله تعالى خلق الأسباب والمسببات، والأسباب ليست مستقلة بالمسببات بل لا بد لها من أسباب أخر تعاونها ولها مع ذلك أضداد تمانعها والمسبب لا يكون حتى يخلق الله جميع أسبابه ويدفع عنه أضداده المعارضة له وهو سبحانه يخلق جميع ذلك بمشيئته وقدرته كما يخلق سائر المخلوقات، فقدرة العبد سبب من الأسباب، وفعل العبد لا يكون بها وحدها بل لا بد من الإرادة الجازمة مع القدرة.

وإذا أريد بالقدرة القوة القائمة بالإنسان، فلا بد من إزالة الموانع كإزالة القيد والحبس ونحو ذلك..»[(٢)].

وقال الأمام ابن القيّم -بعد أن حكى رأي الجبرية والقدرية-: «..فإن قيل فما تقولون أنتم في هذا المقام؟ قلنا: لا نقول بواحد من القولين: نقول هي أفعال العباد حقيقة ومفعولة للرب، فالفعل عندنا غير المفعول وهو إجماع من أهل السنة حكاه الحسين بن مسعود البغوي وغيره، فالعبد فعلها حقيقة والله خالقه وخالق ما فعل به من القدرة والإرادة وخالق فاعليته..»[(٣)].

وقال في موضع آخر: «والصواب أن يقال: تقع الحركة بقدرة العبد وإرادته التي جعلها الله فيه، فالله سبحانه إذا أراد فعل العبد خلق له القدرة والداعي إلى فعله

---

(١) الفتاوى (جـ٨، ص١١٧-١١٨).

(٢) انظر: الفتاوى (جـ٨، ص٤٨٧-٤٨٨).

(٣) انظر: شفاء العليل (ص١٣١).

فيضاف الفعل إلى قدرة العبد إضافة المسبب إلى سببه، ويضاف إلى قدرة الرب إضافة المخلوق إلى الخالق .. إلى أن قال: وإذا عرف هذا فنقول: الفعل وقع بقدرة الرب خلقاً وتكويناً، كما وقعت سائر المخلوقات بقدرته وتكوينه وبقدرة العبد سبباً ومباشرة، والله خلق الفعل والعبد فعله وباشره، والقدرة الحادثة وأثرها واقعان بقدرة الرب ومشيئته..»[1].

ويقول شارح الطحاوية: «..وقال أهل الحق: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوقة لله تعالى، والحق سبحانه منفرد بخلق المخلوقات لا خالق لها سواه، فالجبرية غلو في إثبات القدر .. والقدرية نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله تعالى .. وهدى الله المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فكل دليل صحيح يقيمه الجبري فإنما يدل على أن الله خالق كل شيء .. وكل دليل صحيح يقيمه القدري فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة وأنه مريد له مختار .. فإذا ضممت ما مع كل طائفة منهما من الحق إلى حق الأخرى فإنما يدل ذلك على ما دل عليه القرآن وسائر كتب الله المنزلة من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم»[2].

من هذه النصوص يتضح أن أهل السنة يرون أن الله عز وجل على كل شيء قدير فيقدر أن يهدي العباد ويقلب أفئدتهم، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في ملكه ما لا يريد ولا يعجز عن إنفاذ مراده، وأنه خالق كل شيء. ويؤمنون بأن العبد له قدرة ومشيئة وعمل وأنه مختار فيما يفعله، والله خالقه وخالق قدرته ومشيئته وعمله واختياره، فعمل العبد فعل له حقيقة ومفعول لله تعالى، فهو يضاف إلى العبد إضافة المسبب إلى السبب ويضاف إلى الله إضافة المخلوق إلى الخالق والله أعلم.

---

(١) شفاء العليل (ص١٤٦-١٤٧).

(٢) شرح الطحاوية (ص٤٩٣-٤٩٤).

الخاتمة

في آثار الإيمان بالقدر في حياة المسلم

الإيمان بالقدر أحد أصول العقيدة الإسلامية التي يجب على كل مسلم الإيمان بها، وله آثار محسوسة في حياة المسلم نشير إلى بعض منها:

١. الإيمان بالقدر من أكبر الدواعي التي تدعو المؤمن إلى العمل كما أنه يبعث في القلوب الشجاعة والإقدام على عظائم الأمور بثبات وعزم.

ويدل على ذلك واقع السلف الذين كانوا خير هذه الأمة بعد نبيها وأفهم هذه الأمة لهذه العقيدة وأكملهم تطبيقاً لها نرى واقعهم قبل الإسلام وبعد الإسلام، وما قاموا به من نشاط في تأسيس هذه الدولة المترامية الأطراف، كل ذلك بالله ثم بإيمانهم بهذه العقيدة التي تتضمن أنه لن يصيبهم إلا ما كتب الله لهم، وأن لهم آجالاً مكتوبة لن يتجاوزها.

يقول عز وجل: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة:٥١].

وحكى الله عن المنافقين قولهم ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ﴾ [آل عمران:١٥٤].

فرد عليهم سبحانه بقوله: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ﴾ [آل عمران:١٥٤].

٢. ومن آثار الإيمان بالقدر أن يعرف الإنسان قدر نفسه فلا يتعالى لأنه عاجز عن معرفة المقدور ومستقبل ما هو حادث، ومن ثم يقر الإنسان بعجزه وحاجته إلى

ربه سبحانه وتعالى[١].

٣. الإنسان خُلق محباً الخير لنفسه، كارهاً الشر لنفسه، يجزع منه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝﴾ [المعارج:١٩-٢١].

فإذا أصابه الخير بطر واغتر به، وإذا أصابه الشر جزع وحزن، ولا يعصم الإنسان من البطر إذا أصابه الخير والحزن إذا أصابه الشر إلا الإيمان بالقدر وأن ما وقع فقد جرت به المقادير وسبق به علم الله[٢].

٤. الإيمان بالقدر يقضي على كثير من الأمراض التي تفتك بالمجتمعات وتزرع الأحقاد بينها وذلك مثل رذيلة الحسد. فالمؤمن لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله لإيمانه بأن الله هو الذي رزقهم، وقدر لهم ذلك فأعطى من شاء ومنع من شاء ابتلاء وامتحاناً منه سبحانه لخلقه، وأنه حين يحسد غيره إنما يعترض على المقدور[٣].

٥. الإيمان بالقدر من أكبر العوامل التي تكون سبباً في استقامة المسلم وخاصة في معاملته مع الآخرين فحين يتنقصه أحد أو يسيء إليه أو يرد إحسانه بالإساءة، أو ينال من عرضه بغير حق تجده يعفو؛ لأنه يعلم أن ذلك مقدور وهذا يحسن في حق نفسه، أما في حق الله فلا يجوز العفو والتعلل بالمقدور، لأن القدر يحتج به في المصائب لا في المعايب[٤].

---

(١) انظر: لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها، د. محمد أمين المصري (ص١٨٦).

(٢) انظر: الإيمان، محمد نعيم ياسين (ص١٩٣)، وقطر الولي، للإمام الشوكاني (ص٣٩٦) «ضمن ولاية الله والطريق إليها» والقضاء والقدر، عبد الكريم الخطيب (ص٣٢٦).

(٣) انظر: لمحات في وسائل التربية الإسلامية (ص١٧٨)، والإيمان باليوم الآخر وبالقضاء والقدر، للشيخ أحمد عز الدين البيانوني، (ص١٤٤-١٤٥).

(٤) انظر: مجموعة بحوث فقهية، بحث الإيمان بالقضاء والقدر وأثره في سلوك الإنسان، عبد

=

٦. الإيمان بالقدر يغرس في نفس المؤمن حقائق الإيمان المتعددة، فهو دائم الاستعانة بالله يعتمد على الله ويتوكل عليه مع فعل الأسباب، وهو أيضاً دائم الافتقار إلى ربه تعالى يستمد منه العون على الثبات ويطلب منه المزيد، وهو أيضاً كريم يحب الإحسان إلى الآخرين فتجده يعطف عليهم، والإيمان بالقدر يغرس في نفس المؤمن الانكسار والاعتراف لله تعالى حين يقع منه الذنب ومن ثم يطلب من الله العفو والمغفرة، ولا يحتج بالقدر على ذنوبه -وإن كانت مقدرة عليه- لأنه يعلم أن الاحتجاج بالقدر على فعل الذنب باطل ومخالف للشرع[1].

٧. ومن آثار الإيمان بالقدر أن الداعي إلى الله يصدع بدعوته ويجهر بها أمام الكافرين والظالمين، لا يخاف في الله لومة لائم، ويفضح ما هم فيه من كفر وظلم وما يقومون به من إفساد وتضليل، يفعل المؤمن كل ذلك بعد اتخاذ الأسباب الواقية بإذن الله، وهو راسخ الإيمان واثق بالله متوكل عليه صابر على كل ما يحصل له في سبيله، لأنه مؤمن أن الآجال بيد الله وحده، والأرزاق عنده وحده، وما قدر الله سيكون وما لم يقدره لن يكون، وأن العباد لا يملكون من ذلك شيئاً مهماً وجد لهم من قوة وعون[2].

هذه بعض آثار الإيمان بالقدر في حياة المسلم، ذكرتها باختصار ليسهل الاطلاع عليها. وهناك من الآثار مالا يمكن حصره، وقد اكتفيت بما ذكرته إيثاراً للإيجاز، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الكريم زيدان (ص٢٣٦).

(١) انظر: مجموعة بحوث فقهية، بحث الإيمان بالقضاء والقدر وأثره في سلوك الإنسان، عبد الكريم زيدان (ص٢٤٠-٢٤٤).

(٢) انظر: الإيمان وأثره في حياة الإنسان، د. حسن الترابي، ص٤٨، الإيمان، محمد نعيم ياسين (ص١٩٢).

فهرس المراجع

١. الإبانة، لأبي عبدالله، عبدالله بن محمد بن حمدان (ابن بطة) مخطوطة بدار الكتب القومية بالقاهرة تحت رقم -٢٥١٤٤ب.

٢. الأسماء والصفات للبيهقي دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٣. الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة، للبيهقي، ط-الأولى ١٤٠٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤. الأعلام، خير الدين الزركلي، ط-السادسة ١٩٨٤م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

٥. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للباقلاني، ط-١٩٦٣م، مؤسسة الخانجي، القاهرة.

٦. الإيمان باليوم الآخر وبالقضاء والقدر، أحمد عز الدين البيانوني، ط-الأولى ١٣٩٥هـ، مكتبة الهدي، حلب.

٧. الإيمان وأثره في حياة الإنسان، د.حسن الترابي، ط-الأولى ١٣٩٤هـ، دار القلم، الكويت.

٨. الإيمان، د.محمد نعيم ياسين، ط-الخامسة ١٤٠٧هـ، مكتبة الفلاح، الكويت.

٩. البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، ط-الرابعة ١٤٠٢هـ، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان.

١٠. تاريخ الجهمية والمعتزلة، جمال الدين القاسمي، ط-الأولى ١٣٣١هـ، مطبعة المنار، بمصر.

١١. التبصير من الدين، للإسفراييني، ط-١٣٧٤هـ، مكتبة الخانجي، بمصر- المثنى ببغداد.

١٢.التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الكلبي الغرناطي، دار الكتب الحديثة، مطبعة حسان، القاهرة.

١٣.التعريفات، للعلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني، ط-١٩٧٨م، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت.

١٤.تفسير وبيان مفردات القرآن مع فهارس كاملة، محمد حسن الحمصي، الناشر: مؤسسة الإيمان بيروت، لبنان، دار الرشيد، دمشق، بيروت.

١٥.تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) للإمام محمد بن جرير الطبري ط-الأولى، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر سنة ١٣٢٣هـ.

١٦.التفسير الكبير، للإمام فخر الدين الرازي، ط-الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٧.تفسير النسفي، عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٨.التمهيد، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، ط-١٩٥٧م، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان.

١٩.التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية، عبدالعزيز ناصر الرشيد، ط١٩٤٧م، مطبعة الإمام ١٤ ش على عبداللطيف بمصر.

٢٠.تهذيب التهذيب، للإمام أحمد بن علي حجر العسقلاني، ط-الأولى ١٣٢٧هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند.

٢١.تيسير العزيز الحميد، للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.

٢٢.الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط-الثالثة، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ.

٢٣.جامع الأصول للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، ط-١٣٩٢هـ، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان.

٢٤.حلية الأولياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٥.الخطط المقريزية، للمقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي، مطبعة النيل بمصر، ١٣٢٦هـ.

٢٦.خلق أفعال العباد للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ط-الأولى ١٤٠٥هـ، الناشر: الدار السلفية، الكويت.

٢٧.الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام جلال الدين السيوطي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٢٨.الرد على الجهمية، للإمام الحافظ ابن منده، تحقيق: د.علي بن محمد ناصر الفقيهي، ط-الثانية ١٤٠٢هـ.

٢٩.السنن الكبرى، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ط-الأولى مصورة ١٣٤٤هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣٠.سنن الترمذي (الجامع الصحيح) للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة، الناشر: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

٣١.سنن أبي داود، للحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني، ط-الأولى ١٣٩١هـ، نشر وتوزيع محمد علي السيد حمص.

٣٢.سنن ابن ماجه، للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ابن ماجه) تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

٣٣.سنن النسائي، للحافظ أبي عبدالرحمن بن شعيب النسائي (بشرح السيوطي وحاشية السندي) المطبعة المصرية بالأزهر.

٣٤.سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط-الثانية ١٤٠٢هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٣٥.شرح أصول اعتقاد أهل السنة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق: د.أحمد سعد حمدان، ط-الأولى ١٤٠٩هـ، دار طيبة.

٣٦.شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبدالجبار بن أحمد الهمذاني، ط-الأولى ١٣٨٤هـ، الناشر: مكتبة وهبة.

٣٧.شرح العقيدة الطحاوية، لعلي بن علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، ط-الرابعة ١٣٩١هـ. المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٣٨.شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، للإمام ابن القيّم، الناشر: دار المعرفة بيروت، لبنان.

٣٩.الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط-الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤٠.صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، المطبوع مع شرحه (فتح الباري) نشر وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية.

٤١.صحيح ابن حبان، ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، ط-الأولى ١٤٠٧هـ، دار الكتب العربية بيروت-لبنان.

٤٢.صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط-الأولى ١٣٧٥هـ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٤٣.صحيح مسلم (بشرح النووي)، ط-١٤٠١هـ، دار الفكر للطباعة والنشر مكتبة الرياض الحديثة.

٤٤. الطبقات الكبرى لابن سعد، تحقيق: زياد محمد منصور، ط-الأولى ١٤٠٣هـ.

٤٥. العقيدة الواسطية (مع شرحه لمحمد خليل هراس)، ط-١٤٠٢هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، الرياض، السعودية.

٤٦. الفتاوى، لشيخ لإسلام ابن تيمية، تصوير الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ، مطابع دار العربية، بيروت، لبنان.

٤٧. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ط-١٤٠١هـ، دار الفكر للطباعة والنشر.

٤٨. الفرق بين الفرق، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، مطبعة دار المعارف، بمصر.

٤٩. الفصل، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، ط-الأولى جا-٢ ١٣١٧هـ، ج٣ ١٣٢٠هـ، بالمطبعة الأدبية بمصر، ج٤-٥ ١٣٢١هـ، بمطبعة التمدن.

٥٠. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، ط-١٣٩٨هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٥١. القضاء والقدر بين الفلسفة والدين، عبدالكريم الخطيب، ط-١٣٩٨٠هـ، دار الفكر العربي.

٥٢. قطر الولي، للإمام محمد بن علي الشبوكاني، ضمن (ولاية الله والطريق إليها، إبراهيم هلال) دار الكتب الحديثة، القاهرة.

٥٣. الكامل في التاريخ لابن الأثير، ط-الرابعة ١٤٠٣هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٥٤. كنز العمال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري، ط-الخامسة، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٥٥.لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن جلال الدين ابن منظور، ط- دار لسان العرب، بيروت، لبنان.

٥٦.لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها، د.محمد أمين المصري، ط-الثالثة ١٣٩٤هـ، دار الفكر، بيروت، القاهرة.

٥٧.لوامع الأنوار البهية، محمد بن أحمد السفاريني، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، مكتبة أسامة بالرياض.

٥٨.مجمع الزوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ط-١٤٠٦هـ، الناشر: مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان.

٥٩.مجموعة بحوث فقهية، بحث الإيمان بالقضاء والقدر، د.عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة القدس، بغداد، ١٣٩٦هـ.

٦٠.مدارج السالكين، للإمام ابن القيّم، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط-١٩٧٢م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٦١.المستدرك على الصحيحين، للحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان.

٦٢.المسند، للإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دار صادر، بيروت، لبنان.

٦٣.معارج القبول، للشيخ حافظ حكمي، ط-الأولى ١٤١٠هـ، دار ابن القيّم، الدمام المملكة العربية السعودية.

٦٤.المعارف، لابن قتيبة، ط-١٣٠٠هـ، القاهرة.

٦٥.معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ط-١٩٥٧م، مطبعة الترقي دمشق.

٦٦.المغني في أبواب العدل والتوحيد، عبدالجبار بن أحمد الهمذاني، ط-الأولى

١٣٨٠هـ، مطبعة دار الكتب.

٦٧. الملل والنحل، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، ط-الثانية، مكتبة الإنجلو المصرية بالقاهرة.

٦٨. الموطأ، للإمام مالك بن أنس، تحقيق: د.محمد فؤاد عبدالباقي، ط-١٣٧٠هـ، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان.

٦٩. ميزان الاعتدال، للحافظ أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط-الأولى ١٣٢٥هـ، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.

٧٠. وفيات الأعيان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان.

فهرس الموضوعات